

الإحالة وأثرها في تماسك النصّ

في سورة "المنافقون"

أ. عبد الناصر علي محمد علي (*)

مقدمة :

قضية التماسك النصّي من القضايا التي اهتمّ بها علم اللغة النصّي؛ لأنها تمثّل جانباً أساسياً لهذا العلم، والدليل على أهمية التماسك النصّي أنّه نال اهتماماً كبيراً من علماء النصّ بداية بتوضيح مفهومه، ومروراً ببيان أدواته أو وسائله، وعوامله، وشروطه، والسياق المحيط بالنصّ، وعلاقته بالنصّ، وانتهاءً بوضع نماذج تحليلية توضح هذه الأمور كلها^(١).

والقرآن الكريم أوضح نصّ تتجلّى فيه مظاهر التماسك النصّي، فهو النصّ الإلهي المعجز في لفظه ونظمه ومعناه، والمعجز في تماسكه، والقرآن الكريم لشدة تماسكه؛ عدّ كالكلمة الواحدة، ولكن لكلّ سورة من سورته شخصيتها المتفردة، وعلامتها المتميزة، ومنهجها الخاص.

والإحالة أكثر وسائل التماسك النصّي انتشاراً؛ فلا تخلو جملة أو يخلو نصّ منها؛ فهي تجبر المتلقّي على التقلّب في فضاء النصّ، ولأهمية ظاهرة الإحالة وانتشارها، قيل إنّها: "من القضايا التي شغلت كلّ من اهتمّ بالنشاط الفكري عند الإنسان من الفلاسفة، والمناطق، وعلماء النفس، وشغلت كذلك كلّ من اهتمّ بالنشاط

(*) باحث حاصل على ماجستير في النحو والصرف والعروض، كلية دارالعلوم، جامعة القاهرة.

(١) علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، للدكتور صبحي

إبراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م. ٩٣/١

اللغوي: من النحاة، والبلاغيين، وعلماء اللسان، بمختلف فروعهِ وغيرهم قضية الإشارة، والإحالة في الكلام^(١).

إنَّ رصدَ ظاهرة الإحالة في النصِّ ومعرفة عناصرها؛ تعدُّ من أهمِّ مفاتيح الوصول إلى بنية النصِّ وتحليله، فإنَّ وجود الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة في النصِّ، وتنوعها، واحتواء بعضها لبعض، ينتج عنه تماسك النصِّ.

وقد اخترتُ هذا الموضوع؛ ليكون مجالاً للبحث، للأسباب الآتية:

- الإحالة أبرز أداة تساهم بدورٍ فاعلٍ في عملية تماسك النصوص وترابطها.
- المكتبة العربية في حاجة إلى تطبيق هذه النظرية على نصِّ القرآن الكريم.
- محاولة تقديم نظرية متكاملة ساهم فيها العلماء القدماء والمعاصرون.
- المساهمة في ميدان التطبيق في علم اللغة النصِّي.
- النظر إلى النصِّ نظرة كلية، ثم الحكم على تماسكه، وبيان الأدوات التي ساهمت في تحقيق هذا التماسك.
- وقد اخترت سورة (المنافقون) مجالاً للتطبيق؛ لأنها لم تحظَ باهتمام الدارسين، ولأنها تميل إلى القصر؛ مما يناسب طبيعة هذا البحث، بالإضافة إلى أن السورة في القرآن الكريم تمثل نصّاً متكاملًا.
- وتبرز أهمية اختياري هذا الموضوع من خلال جملة من الأمور، هي:—
- تكتسب هذه الدراسة أهميَّتها من أهميَّة ما اقترنت به، وهو القرآن الكريم؛ لذا يعدّ هذا البحث محاولة لخدمة القرآن الكريم؛ لأنَّ أيَّ دراسةٍ للقرآن تعدّ محاولة للاقتراب من فهمه وبيان إعجازه.

(١) نسيج النصِّ (بحث ما به يكون الملفوظ نصّاً)، للأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار

البيضاء، ط ١، ١٩٩٣م. ١١٥/

— رصد ظاهرة لغوية نصيّة، وبيان عناصرها وآثارها، وهي ظاهرة لم تأخذ نصيبها الكافي من الدراسة، ولم تحظَ باستقلال على الرغم من أهميتها اللغوية.

— محاولة تطبيق ظاهرة الإحالة على نصّ من نصوص القرآن الكريم، الأمر الذي يحتاج إلى مزيد من الدراسة؛ للكشف عن أسرارها، وبيان إعجازه من خلال هذه الظاهرة اللغوية.

وكان الهدف من هذه الدراسة هو ما يأتي:—

— بيان مرجع عناصر الإحالة في النصّ، وبيان دور هذه العناصر الإحالية في ترابط النصّ وتماسكه، ووصل النصّ اللغوي بالسياق، في إطار وحدته الكلية.

— محاولة الوصول إلى نظرية عربية للإحالة، كما يمكن الاستفادة من معطيات علم النصّ الغربي بما لا يلغي خصوصية النصّ العربي؛ لأنّ عدم تكوين نظرية نصيّة متكاملة في اللغة العربية لا يعني أنّ العلماء العرب لم يتجاوزوا حدود الجملة إلى النصّ؛ لأنّه كان لديهم تطبيقات نصيّة ظهرت بجلاء، وهي تعكس أهمية النظرة الشمولية للنصّ، ولا سيما الذين عكفوا على دراسة القرآن الكريم للوصول إلى فهمه وبيان إعجازه.

— محاولة الكشف عن بعض وجوه الإعجاز القرآني من خلال تماسكه.

وأحاول الوصول إلى هذه الأهداف من خلال المحاور الآتية:—

التماسك النصّي لغة واصطلاحًا.

الإحالة لغة واصطلاحًا.

أنماط الإحالة.

عناصر الإحالة.

الإحالة بالضمائر.

الإحالة بأسماء الإشارة.

الإحالة بالأسماء الموصولة.

الخاتمة.

التماسك لغة

ذكرت المعاجم العربية عدة معانٍ للتماسك، منها: الاحتباس والاعتدال والارتباط.

فقد ذكر أن "مَسَكَ بِالشَّيْءِ وَأَمْسَكَ بِهِ وَتَمَسَكَ وَتَمَاسَكَ وَاسْتَمَسَكَ وَمَسَكَ، كُلُّهُ: احْتَبَسَ" (١).

وفي حديث ابن أبي هالة في صفة النبي ﷺ أنه كان: "بَادِنًا مُتَمَاسِكًا" (٢)، أي: أنه مُعْتَدِلُ الْخُلُقِ كَأَنَّ أَعْضَاءَهُ يُمَسِكُ بَعْضُهَا بَعْضًا" (٣).

وذكر أن "التماسك: ترابط أجزاء الشيء حسيًا أو معنويًا، ومنه: التماسك الاجتماعي وهو ترابط أجزاء المُجْتَمَعِ الْوَاحِدِ" (٤).

التماسك اصطلاحًا.

ويُعرَّفُ النصيَّون التماسك النصِّي بأنه "العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النصِّ الداخلية، وبين النصِّ والبيئة المحيطة من ناحية أخرى" (٥)، وأهم أدوات التماسك النصِّي "الأدوات الدلالية كالسياق والإحالة الخارجية، والأدوات الشكلية كالروابط النحوية والأسلوبية" (٦).

بالتأمل فيما ورد في المعاجم العربية من معانٍ للتماسك يمكننا الربط بينها وبين المعنى الاصطلاحي لها، وذلك على النحو الآتي:

(١) لسان العرب، لابن منظور [ت: ٧١١هـ]، تحقيق: عبدالله على الكبير، وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د. ط. د. ت. (م س ك) ٤٢٠٣/٦

(٢) انظر، الحديث في "المعجم الكبير"، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني [ت: ٣٦٠هـ]، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط. ٣، د. ت. ١٥٥/٢٢.

(٣) لسان العرب (م س ك) ٤٢٠٤/٦

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، ط. ٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م (م س ك) ٨٦٩/٢

(٥) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٩٦/١

(٦) المرجع السابق ١٢٠/١.

فالنَّصَّ لابد أن يكون له بداية ونهاية، والرسالة التي يؤدّيها تكون مدبوسة بينهما، ويكون النَّصَّ معتدلاً متناسقاً يمسك بعضه بعضاً، كأجزاء الجسد التي تعمل في تكامل عضوي، واعتماد متبادل بينها، فلا يستغني عضوٌ فيه عن الآخر، وأن تكون أفكاره ومعانيه متعلّقة بعضها ببعض متعلّقة منطقياً؛ حتى يصير كالشيء الواحد.

ويمكن حمل الترابط الحسّي على التماسك بالأدوات الشكلية، وحمل الترابط المعنوي على التماسك الدلالي، وبذلك يجمع بين الربط النحوي، والترابط الدلالي.

الإحالة لغةً:

الإحالة مصدر الفعل أحال يحيل، عينها واو، والمعنى العام الذي تدور حوله مادة (ح.و.ل) هو التحريك في دور^(١)، أمّا الفعل (أحال) فله عدة معانٍ تتدرج تحت هذا المعنى، من أبرزها ما يأتي:-

(أحال الشيء): أتى عليه حَوَّلَ كامل، و(أحال الكلام): أفسده، و(أحال الرجلُ): أتى بالمُحال وتكلّم به، و(أحال الشيء): غيَّره وحَوَّلَه، و(أحال عينه): صيَّرها حَوَّلَاءً، و(أحال عليه بالكلام): أقبل عليه، و(أحال الليل): انصبَّ على الأرض وأقبل، و(أحال فلان على فلان): حَوَّلَه إليه. يُقال: "أحال الغريم": زجَّاه عنه إلى غريم آخر، و(أحال الشخصُ): تَحَوَّلَ^(٢).

وسوف يظهر أنَّ المعنى اللغوي وثيق الصلة بالمعنى الاصطلاحي للإحالة.

الإحالة اصطلاحاً.

الإحالة بوصفها علاقة لغوية بين طرفين مصطلح شابه كثير من الغموض، وتعددت معانيه، واستُخدم بمفاهيم كثيرة؛ لذلك سوف أبين هذه المفاهيم^(٣)؛ حتى أختار

(١) انظر، معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس [ت: ٣٩٥هـ]، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. ١٢١/٢.

(٢) انظر، لسان العرب (ح.و.ل) ١٠٥٤/٢ - ١٠٦١.

(٣) انظر، هذه المفاهيم في "الإحالة في القرآن الكريم، دراسة نحوية نصية"، د: تامر عبد الحميد محيي الدين أنيس، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط ٢٠٠٨م. ١٨٢-٣٩/.

منها مفهوماً يناسب لغتنا العربية، ويتناسب مع ما ورد منها في القرآن الكريم، وسوف أوجز هذه المفاهيم فيما يأتي:

الإحالة التداولية: وهذا المفهوم للإحالة يركز على العلاقة بين المتكلم والمخاطب في مقام ما، قال الدكتور أحمد المتوكل: "هي عملية ذات طبيعة تداولية تقوم بين المتكلم والمخاطب في موقف تواصلية معين ويستهدف بها المتكلم أن يحيل المخاطب على ذات معينة"^(١).

والإحالة بهذا المفهوم ليس مصطلحاً معاصراً، لكنه مصطلح استخدمه القدماء (٢) (١٣).

الإحالة المرجعية: هي العلاقة بين الكلمة ومدلولها الخارجي، ومن أبرز من استخدم الإحالة بهذا المفهوم "فان دايك"، و"دي بوجراند"، ووظيفتها إحداث ترابط في النص، وتحقيق الكفاءة النصية بصياغة أكبر كمية من المعلومات، وإنفاق أقل قدر من الوسائل^(٣).

الإحالة الافتقارية: وهو استعمال خاص لمصطلح الإحالة، نقله الأستاذ محمد خطابي عن الباحثين: "هاليداى" و"رقية حسن"، وهو أن "العناصر المحيطة كيفما كان

(١) قضايا اللغة في اللسانيات الوظيفية، د: أحمد المتوكل، دار الأمان، د. ط، ١٩٩٥ م. ٢٩/.

(٢) استخدمه حازم القرطاجني [ت: ٦٨٤هـ] في "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، تحقيق: الإسلامي، بيروت، لبنان، د. ط، ١٩٨٦ م. / ١٨٨ و ١٨٩ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢٢١.

واستخدمه الألوسي [ت: ١٢٧٠هـ] في "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د. ط، د. ت. ١٧٤/٥، ١٧٣.

واستخدمه الطاهر ابن عاشور في "التحرير والتوير والتوير"، الدار التونسية، تونس، د. ط، ١٩٨٤ م. / ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٨٩/٧.

(٣) انظر، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تأليف: تون أ. فان دايك، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط ١، ٢٠٠١ م. / ٤٣ و ٤٤ و ٥٣، والنص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨ م. / ٤٨ و ٢٢٨ و ٢٩٩، والإحالة في القرآن الكريم/ ٨٩.

نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها" (١) .

أمّا وسائل الإحالة عندهما فهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، و قد قسّما الإحالة إلى نوعين: إحالة خارج النصّ (مقامية) وإحالة داخل النصّ (نصّية)، وقسّما الإحالة النصّية (الداخلية) إلى قبلية، وإلى بعدية (٢) .

وقد اعتمدت بعض الدراسات العربية على هذا المفهوم للإحالة (٣) .

الإحالة الكلامية: نجد هذا المفهوم للإحالة عند "مريم فرنسيس" حيث قالت: "إن الإحالة ملازمة لكل فعل كلامي بغض النظر عن طبيعة الأشياء أو الأمور التي تحيل إليها، وعن موضوعية الإحالة وتطابقها مع حقيقة المرجع أو الواقع، وهي ليست منوطة فقط بصيغ العبارة الاسمية في الجملة، بل تتعلق بكل أركان الجملة، وهي تركز أساساً على مقومات التخاطب أو الكلام، وعلى رأسها وحدات الشخصوس والزمان والمكان" (٤) .

والإحالة عندها ثلاثة أقسام هي: الإحالة المطلقة (المتعاقبة على الإشارة)، والإحالة المقيدة الإشارية، والإحالة المقيدة اللا إشارية (٥) .

الإحالة بمعنى إعادة الذكر: نجد هذا المفهوم للإحالة عند الأستاذ الدكتور تمام حسان في مؤلفاته، فهو لم يذكره صراحة بتعريف جامع مانع، وإنما يُستخلص هذا

(١) لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام النصّ، لمحمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،

المغرب، ط ٢، ٢٠٦ م / ١٦ و ١٧

(٢) انظر، المرجع السابق / ١٧ .

(٣) من هذه الدراسات: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، ونسيج النصّ، والإحالة في نحو النصّ.

(٤) في بناء النصّ ودلالاته (محاور الإحالة الكلامية)، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق،

د. ط، ١٩٩٨ م / ٢١

(٥) انظر، المرجع السابق / ٣٥ و ٣٦

المفهوم من كلامه، فقد استعمل مصطلح الإحالة تحت وسائل الربط في ثلاثة من مؤلفاته^(١).

ووسائل الربط عنده أربعة أنواع هي: الربط بالأداة، والربط بالمشكلة، والربط بعلاقة معنوية بين جملتين، والربط بالإشارة^(٢).

الإحالة العهدية: وهي "علاقة لغوية بين لفظ وُضع ليستعمل في الدلالة على معين معهود، وذلك المعهود المُعَيَّن بواسطة قرينة العهد التي ترجع إلى الحضور أو الذكر أو غيرها من وسائل المعرفة، وهي على هذا التصور علاقة مركبة ذات عناصر ثلاثة هي: اللفظ المُحِيل، والمعهود المُحَال إليه، والقرينة المُعَيِّنة"^(٣).

واللفظ المُحِيل قد يكون (الضمائر أو أسماء الإشارة أو الأسماء الموصول...) والعهد يتناول كل هذه الألفاظ؛ لأنها هي العناصر المُحيلة إحالة عهديّة.

والمحال إليه: هو كل معهود بعهد خاص يمكن أن يرتبط به اللفظ المحيل، وهذا ينطبق على أربعة أنواع هي: الذوات والمعاني والأزمان والألفاظ^(٤).

والمراد بالقرينة: هي "ما يستعين به المخاطب على الربط بين الدال الذي هو اللفظ المعروف تعريف عهد، والمدلول الذي هو الشيء المُعَيَّن المعهود المراد بذلك اللفظ، ولولا هذه القرينة ما كان اللفظ كافيًا في تعيين المراد، وهذه القرينة جزء مهم في

(١) استعمله تحت وسائل الربط مباشرة في "مقالات في اللغة والأدب" مقالات في اللغة والأدب، طبعة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م. ١٧٣/١، و"البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، مكتبة الأسرة، ط١، ٢٠٠٢م. ٢٣٥/١، واستعمله منتميًا إلى الربط الملفوظ في "الخلاصة النحوية"، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م. ٨٩/

(٢) ذكر هذه الوسائل الدكتور تامر عبد الحميد بعد أن قام بتحليل وسائل الربط التي أوردها الدكتور تمام حسان.

الإحالة في القرآن الكريم/١١٥

(٣) الإحالة في القرآن الكريم/١٧١

(٤) انظر، المرجع السابق/١٧٢-١٧٤

عملية الإحالة العهدية، فهي تقوم بوظيفتين أساسيتين لهذه العملية؛ الأولى: إنشاء العهد لدى المتلقي، والآخرة: الربط بين المحيل والمُحال إليه^(١).

وأنا أختار المفهوم الأخير للإحالة (الإحالة العهدية)، وذلك للأسباب الآتية:

١- هذا المفهوم وليد التربة العربية، وهو ما نسعى إليه في دراستنا للعربية.

٢- هذا المفهوم يتناسب مع أنماط الإحالة التي وردت في القرآن الكريم.

٣- عناصر الإحالة العهدية لها علاقة بفكرة العهد؛ فيكون العنصر مناسباً للإحالة.

٤- الإحالة العهدية لها علاقة قوية بمفاهيم الإحالة الأخرى.

أنماط الإحالة.

تنقسم الإحالة العهدية من حيث الوسيلة (القرينة) التي يتحقق بها العهد على ثلاثة أنماط هي: إحالة العهد الحضورى، وإحالة العهد الذكري، وإحالة العهد الذهني.

١- إحالة العهد الحضورى.

الحضور المقصود هنا هو المُمثِّل للتفسير الإحالي للكلام، وهو الحضور المصاحب للنصّ زماناً ومكاناً، الذي يستطيع المتلقي في زمن الخطاب أن يدرك منه مُعادل المُحال إليه مباشرة، ويكون الوجود الخارجي للمحال إليه هو الأساس في القرينة الرابطة بينه وبين اللفظ المحيل، وقد يُكتفى به، وقد يضاف إليه قرينة أخرى كالإشارة الحسية، والإقبال بالخطاب والنداء.

وهذا المفهوم للحضور يختلف عن الحضور المفهوم من ضميري المتكلم والمخاطب؛ لأنّ الحضور الأخير حضور في عملية الخطاب نفسها، بأن يكون الضمير دالاً على أحد طرفي الخطاب (المُخاطَب و المُخَاطَب)، ويقابله مفهوم الغيبه عن الخطاب^(٢).

(١) المرجع السابق/١٦٤

(٢) المرجع السابق/١٨٥-١٨٩

إنَّ بعض المُحِيلَاتِ يَقْتَضِي بوضعه أن تكون قرينة تعيينه حضورية كـ
(ضمائر التكلّم والخطاب، واسم الإشارة المستعمل في حقيقته).

وذلك كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءَ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١) ، قال الطاهر ابن عاشور: "وقوله: ﴿فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا﴾ ضمير الخطاب لولاية الأمور بقرينة المقام... وقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتُ عَلَيْ لِنِّ أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَكِنَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢) فاسم الإشارة
﴿هَذَا﴾ هو المحيل، والمُحال إليه حاضر في المقام و هو آدم عليه السلام^(٣) .

٢- إحالة العهد الذكري.

المراد بالذكر — هنا — هو تلك الوسيلة أو القرينة الدالة على المُحال إليه،
التي تسمّى في حالة ضمير الغيبة مرجعاً، وفي اسم الإشارة مفسراً^(٤) .

مثل، قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾^(٥) قال الطاهر بن عاشور: "الضمير المرفوع بقالوا عائد إلى جميع
الفرق الثلاث؛ وهي اليهود، والنصارى، والذين لا يعلمون"^(٦) ، يقصد قوله
تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى
شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٧) .

٣- إحالة العهد الذهني.

(١) سورة المائدة/٣٨

(٢) سورة الإسراء/٦٢

(٣) التحرير والتنوير/١٥٠/٦

(٤) الإحالة في القرآن الكريم/٢٢٣

(٥) سورة البقرة/١١٦

(٦) التحرير والتنوير/١/٦٨٣

(٧) سورة البقرة/١١٣

العهد الذهني هو كل علم بالمُحال إليه ينشأ عن طريق غير الحضور والذكر، وهو يعتمد على قرينة غير حاضرة في السياق المقامي، فلا يؤثر كون المُحال إليه معلوماً في الأصل بالحضور أو بالذكر، ما دامت قرينة تعيينه غير موجودة خارجياً أو لسانياً ساعة الكلام، فالمعيار الفارق هو مُساوقة القرينة للكلام المُشتمل على العنصر المُحيل وعدمها^(١).

والعهد الذهني له ثلاثة روافد يمكن عن طريقها تعيين المُحال إليه، وهذه الروافد ذكرها الزمخشري مجتمعة في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٢)، قال: "فإن قلت: صلة (الذي) و(التي) يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك أن نار الآخرة تُوقد بالناس والحجارة؟ قلت: لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب، أو سمعوه من رسول الله ﷺ أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٣) فإن قلت: فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة مُكررة في سورة التحريم، وههنا معرفة؟ قلت: تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها ناراً موصوفة بهذه الصفة، ثم نزلت هذه بالمدينة مشاراً بها إلى ما عرفوه أولاً"^(٤).

فقد ذكر الإمام الزمخشري أن المُحال إليه يتعين بما يأتي:-

- ١- من حكاية الأحداث، وما يتعلق بها من أشخاص وظروف (السير).
- ٢- من أسباب النزول (عن طريق السماع من الرسول ﷺ).
- ٣- من السياق العام للقرآن الكريم.

ومن أمثلة إحالة العهد الذهني في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿إِذْ يَبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(٥)، فإن التعريف في ﴿الشَّجَرَةِ﴾ تعريف العهد الذهني، فهي الشجرة

(١) الإحالة في القرآن الكريم/٣٠٩

(٢) سورة البقرة/٢٤

(٣) سورة التحريم/٦

(٤) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: يوسف الحمادي، مكتبة

مصر، ط٢٠٠٠م. ٩٧/١

(٥) سورة الفتح/١٨

التي تَمَّتْ تحتها بيعة الرضوان، قال ابن عطية: "و(الشجرة): سَمْرَةٌ كانت هنالك، ذهبَتْ بعد سنين، فمرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته فاختلف أصحابه في موضعها، فقال عمر: سيروا هذا التكلف" (١) .

وتكون الإحالة العهدية :

١- إحالة خارج النص (مقامية)، أي يكون المحال إليه خارج النص، وذلك مع بعض العناصر، مثل: ضمائر المتكلم والمخاطب.

٢- إحالة داخل النص (نصية)، وتنقسم على نوعين:-

أ - الإحالة السابقة (البعدية): وتعني استخدام العنصر الإحالي بعد المُحال إليه، فهي تعود على مفسر سابق، وهي أكثر الأشكال شيوعاً.

ب - الإحالة اللاحقة (القبليّة): وفيها يتم استخدام العنصر الإحالي قبل المُحال إليه، ومن ذلك ضمير الشأن (٢) .

عناصر الإحالة.

سوف أتناول عناصر الإحالة المتفق عليها بين الباحثين وهي: (الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة).

فهي عناصر افتقارية؛ لأنها تقتقر إلى ما تُحيل إليه، ومُبْهَمة لا تدلّ على جنس من الأجناس بذاتها، فهي أشكال فارغة في المعجم" (٣) ؛ لذلك فهي تحتاج إلى الارتباط بشيء آخر يُبيّن ما أريد بها، يقول ابن الخشاب [ت: ٥٦٧هـ]: "ألا ترى أنك تقول: ذا زيد، تقول: ذا عمرو، بل وينتقل هذا الاسم في الإشارة به إلى الأنواع المختلفة، والأجناس المتباينة؛ فتقول: ذا فرسي، وذا رمحي، وذا ثوبي...؛ فيقع اسم الإشارة كما ترى على هذه المختلفات، ولا يختصّ بواحد منها دون آخر، وهذه حقيقة الإبهام؛ فلذلك قيل

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط ١، ٢٠٠١م ١٣٤/٥

(٢) انظر، لسانيات النص/ ١٧

(٣) نسيج النص/ ١١٦

لها: مُبْهَمَةٌ، وكذا قِيلَ في المضمرات لتثقلها، وأنها لا تكون لمُسَمًّى دون مُسَمًّى، وكذا الأسماء الموصولة معارف مبهمات" (١) .

وهذه العناصر الثلاثة تشترك في "الدلالة: إمّا على مطلق غائب، أو مطلق حاضر، وهذا الإطلاق في المعنى هو الذي جعل المعنى عامّاً من قبيل ما وصفه النحاة بقولهم: "حقّه أن يؤدّى بالحرف" ومن ثَمَّ كانت إفادة الضمائر لهذا المعنى العام شبهاً معنوياً؛ فكان في رأي النحاة علّة في بناء الضمائر" (٢) .

وتشترك في أنها أدوات ربط؛ لإنعاش الذاكرة؛ للوصول إلى المُحال إليه، قال الدكتور تمام حسان: "وظيفتها إنعاش الذاكرة؛ لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تُعِينُ على الوصول إلى هذه الغاية" (٣) .

وهي تُغني عن إعادة الذكر؛ لأنّ إعادة الذكر هي الأصل في الربط، قال الدكتور تمام حسان: "والأصل في الربط أن يكون بإعادة اللفظ؛ لأنها أدعى للتذكير وأقوى ضماناً للوصول إليه" (٤) ، وقال: "ومن أهم ما يغني عن إعادة الذكر الضمائر بأنواعها الثلاثة: ضمائر الأشخاص، والضمائر الموصولة، وضمائر الإشارة" (٥) .

وقد يجري عنصر من هذه العناصر مجرى عنصر آخر في الاستعمال اللغوي، وقد أدرك ذلك العلماء القدماء (٦) والمحدثون (٧) .

(١) المرتجل، تحقيق: علي حيدر، دمشق، د. ط، ١٩٧٢ م / ٣٠٤ و ٣٠٥

(٢) البيان في روائع القرآن ١/ ١٣٧

(٣) المرجع السابق ١/ ١٢٨

(٤) المرجع السابق ١/ ١٢٨

(٥) المرجع السابق ١/ ١٣٧

(٦) انظر، تفسير البغوي، المسمى (معالم التنزيل)، للبغوي [ت: ٥١٦هـ]، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرين، دار طيبة، الرياض، ط ١٤١٧هـ، ٤٤٠/ ١٩٩٧ م ١٦٣/ ٢، وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي القرشي [ت: ٥٩٧هـ]، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٤ م ١٢/ ٢، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي [ت: ٧٥٦هـ]، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د. ط، د. ت. ٥٧٢/ ٣ و ٥٧٣.

(٧) انظر، البيان في روائع القرآن ١/ ١٣٧، وعلم لغة النص ١١٩، وعناصر السبك، بحث، للدكتورة نادية رمضان، نشر في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م ٥٧٢/ ٢

فيجري الضمير مجرى اسم الإشارة، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا﴾^(١) فالضمير في ﴿مِنْهُ﴾ جار مجرى اسم الإشارة كأنه قيل عن شيء من ذلك^(٢).

ويجري الاسم الموصول مجرى الضمير، كقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾^(٣)، "﴿لِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ ارتفاعه على الابتداء، وخبره إما الجملة التي هي ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ كأنه قيل: ولباس التقوى هو خير؛ لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر، وإما...^(٤).

ويجري اسم الإشارة مجرى الاسم الموصول، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾^(٥)، "﴿تِلْكَ﴾ اسم مبهم يجري مجرى التي، ويوصل كما توصل التي، والمعنى: وما التي بيمينك يا موسى^(٦) .

واشتمال هذه العناصر على فكرة العهد.

فتعرف الضمير بالعهد جاء في قول سيبويه [ت: ١٨٠هـ]: "وإنما صار الإضمار معرفة؛ لأنك إنما تضمّر اسماً بعد ما تعلم أنّ من تحدّث قد عرف من تعنى وما تعنى، وأنك تريد شيئاً يعلمه"^(٧) .

واسم الإشارة يتعرف بالعهد الحضوري، قال الجرجاني: "فإنما كان معرفة لأجل أنك تشير إلى شيء بحضرتك، فالإشارة تقيّد؛ لأنها تخصّ وتُفَضِّلُ"^(٨).

(١) سورة النساء/٤

(٢) الكشاف/١/٤١٣

(٣) سورة الأعراف/٢٦

(٤) الكشاف/٢/١٥٠

(٥) سورة طه/١٧

(٦) معاني القرآن وإعرابه، لأبي اسحق الزجاج [ت: ٣١١هـ]، تحقيق: د: عبد الجليل عبده شلبي، عالم

الكتب، ط ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م. ٣/٣٥٣.

(٧) الكتاب، تحقيق: الأستاذ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١٩٨٨م، ٢/٦

(٨) المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: الدكتور كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، العراق،

د. ط، ١٩٨٢م ٢/٩١٩

أما الاسم الموصول فيحتمل العهد والجنس، قال ابن مالك [ت: ٦٧٢هـ]:
"والمشهور عند النحويين تقييد الجملة الموصول بها بكونها معهودة، وذلك غير لازم؛
لأن الموصول قد يراد به معهود؛ فتكون صلته معهودة كقوله تعالى ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ (١)... وقد يراد به الجنس فتوافقه صلته" (٢).

أولاً: الضمائر.

تتفرع الضمائر إلى فرعين هما: ضمائر الحضور، وضمائر الغياب، ثم تتفرع
ضمائر الحضور إلى متكلم، وإلى مخاطب، وكل مجموعة منها تنقسم إلى أقسامها
المعروفة.

وقد جمع ابن هشام الأشياء التي تحتاج إلى رابط، وهي أحد عشر موضعاً،
وذكر الروابط التي تحتاج إليه، وقد كان الضمير هو القاسم المشترك بين هذه
الروابط؛ لذلك جعله الأصل في عملية الربط (٣).

ويُقصد بالأصل: الأصل في الربط بين العناصر الاسمية، والأكثر في
الاستعمال؛ فغيره ينوب عنه ويحل محله، يقول الدكتور حماسة: "ولا يعدل التركيب عن
الضمير إلا لغاية يتغيّاها، ومعنى يربغ إليه في مواقف معينة تقتضي ذلك، وقد نظر
النحاة لوسائل الربط الأخرى على أنها نائبة عن الضمير، على اعتبار أن الضمير هو
الأصل في الربط، و مرادهم بالأصل أنه الأكثر الشائع في الاستعمال، لا الأصل الذي
تتفرع عنه فروع أخرى" (٤).

(١) سورة الأحزاب/ ٣٧

(٢) شرح التسهيل، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر،

ط١، ١٩٩٠م ١/ ١٨٧

(٣) انظر، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،

بيروت، د. ط، ١٩٩١م ٢/ ٥٧٣-٥٨٦

(٤) بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٣م ١١٠/

وأزيد على ما سبق سبباً آخر يُثبِتُ أَنَّ الضميرَ هو الأصل في الربط بين العناصر الاسمية، وهو أنه يُراعَى في الربط بغيره صحة إحلاله محل ذلك الرابط، قال الدكتور تمام حسّان: "دليل الربط بكل واحدة منها هو صحة حلول الضمير الرابط محلها دون أن يتغير المعنى" (١) ، بمعنى أن يكون هذا الرابط مفتقراً لغيره افتقار الضمير إليه.

والضمائر راسخة القدم في حقل الافتقار والرئبة (٢) ؛ لأن "المضمر لا تتم دلالاته على مسماه إلا بضميمة من مشاهدة أو غيرها" (٣) ؛ ف"ضمائر المتكلم تقتقر إلى متكلم، وضمائر الخطاب تقتقر إلى مخاطب؛ فيكون المتكلم بمثابة المرجع لضميره، ويكون المخاطب كذلك، أما ضمير الغيبة فيفتقد في العادة إلى مذكور يُعدّ مرجعاً له فلا يتضح معنى الضمير إلا بواسطة ذلك المرجع" (٤) .

ويشترط "أن يكون بين الضمير ومرجعه مطابقة في اللفظ والقصد بحيث لو عدنا بالإضمار إلى الإظهار؛ لحصلنا على اللفظ نفسه، وعلى المدلول نفسه" (٥).

ومرجع الضمير قد يكون مرجعاً صريحاً، والمرجع الصريح هو الذي لا يحتاج إلى أعمال فكر ولا طول نظر؛ لأنه لا لبس فيه ولا خفاء... وهو الغالب في القرآن الكريم إذا قورن بالمراجع الأخرى (٦) ، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ (٧) فالضمير ﴿هُوَ﴾ مرجعه ﴿اللَّهُ﴾ وهو مرجع ظاهر واضح.

(١) البيان في روائع القرآن ١/١٣٩

(٢) انظر، المرجع السابق ١/١٣٧

(٣) شرح الأشموني [ت: ٩٠٠هـ] لألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م. ٤٩/١

(٤) البيان في روائع القرآن ١/١٣٧ و ١٣٨

(٥) المرجع السابق ١/١٣٨

(٦) مرجع الضمير في القرآن الكريم، مواضعه، وأحكامه، وأثره في المعنى والأسلوب، د: محمد حسنين صبرة، دار البانئ للطباعة، القاهرة، ط، ١٩٩٢م. ١٢/١١

(٧) سورة البقرة/ ١٣٩

وقد يكون مرجعه مُتصِداً من الفعل أي: غير مذكور في الجملة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتَوْتُوْهَا الْفَقْرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾^(١) أي: فأخفأوها وإيتاؤها الفقراء خير لكم.

وقد يدل عليه السياق، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(٢)، أي: الأرض، وحُذِفَ المرجع؛ ثقة في فهم السامع^(٣).

وقد يُدل عليه بالالتزام، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(٤)، فالضمير في ﴿نَزَّلَهُ﴾ يعود على القرآن، ولم يسبق ذكره؛ لأنّ الانزال يدل عليه التزاماً، وذلك "فيه فخامة لشأن صاحبه، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يُدلُّ على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته"^(٥).

والأصل أن يتأخر الضمير، ويتقدم المرجع لفظاً ورتبة، ولكن قد يعود الضمير على متأخر لفظاً لا رتبة إذا أمن اللبس^(٦)، نحو: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾^(٧). وقد يعود على متأخر رتبة لا لفظاً، نحو: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾^(٨)، فإن ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ المفسر للضمير متقدم لفظاً متأخر رتبة؛ لأنه مفعول ورتبته التأخير عن الفاعل.

(١) سورة البقرة/٢٧١

(٢) سورة الرحمن/٢٦

(٣) النحو القرآني قواعد وشواهد، للدكتور جميل أحمد ظفر، مطابع الصفا، مكة المكرمة، ط ٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م / ٩٤

(٤) سورة البقرة/٩٧.

(٥) الكشف/١٥٦.

(٦) الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين السيوطي، [ت: ٩١١هـ]، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة ب.ط، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م / ٣٣٥/٢

(٧) سورة طه/٦٧

(٨) سورة القصص: ٧٨

وب يعود على متأخر دالاً عليه بالتزام، نحو: ﴿قُلُوا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُومَ﴾^(١) ،
فقد أضمر الروح أو النفس ندالة الخلقوم والتراقي عليها.

وقد يتقدم الضمير ويعود على متأخر لفظاً ورتبة، كما في باب: "نعم
وبس" وباب "التنازع" وباب "ضمير الشأن والقصة" و "الضمير المجرور الموضع بـ"
"رَبِّ" ^(٢) كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣) و﴿فَإِنَّمَا لَا نَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾^(٤) ، فالضمير
في الآيات ضمير الشأن والقصة، وفائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه بأن
يذكر أولاً مبهماً ثم يفسرُ بجملة بعده ^(٥) .

و ضمير الفصل، وهو أحد الضمائر المنفصلة المرفوعة، وهو "يتوسط بين
المبتدأ وخبره قبل دخول العوامل اللفظية، وبعده إذا كان الخبر معرفة أو مضارعاً له
في امتناع دخول حرف التعريف عليه كـ "أفعل من كذا" ^(٦) ^(٧) كما في قوله
تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٨) ، وله ثلاث فوائد هي: الدلالة على أن الوارد بعده
خبر لا صفة، والتوكيد، والاختصاص ^(٩) .

وقد قرر علماءنا القدماء قاعدة أن الأصل عود الضمير على أقرب مذكور، إلا
إذا كان مضافاً إليه، فالأصل عود الضمير على المضاف؛ لأنه المحدث عنه ^(٩) ،
نحو: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١٠) .

(١) سورة الواقعة/٨٣

(٢) راجع، مغني اللبيب ٢/٥٦٢-٥٦٨.

(٣) سورة الإخلاص/١

(٤) سورة الحج/٤٦

(٥) الإتيان في علوم القرآن ٢/٣٤١

(٦) المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري، تحقيق: د. خالد إسماعيل حسان، مكتبة الآداب،

ط ٢٠٠٦، ١٧٦/

(٧) سورة البقرة/٥

(٨) انظر، الكشاف ١/٤٦

(٩) انظر، الإتيان في علوم القرآن ٢/٣٣٧ و ٣٣٨

(١٠) سورة النحل/١٨

وهذه القاعدة ظهرت عند النحاة في ثلاثة مواضع هي: الإشارة إلى القريب والبعيد، ونداء القريب والبعيد، وعود الضمير إلى أقرب مذكور، ولكن هذه القاعدة غير مُطَرَّدة؛ لأنّ الضمير يمكن أن يعود على أبعد مذكور، نحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلْمُتَلَدِّينَ﴾ (٧) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ (١)، فالضمير في ﴿قَالُوا﴾ للإخوة بقرينة قولهم ﴿أَبِينَا﴾ مع أنّ السائلين أقرب إلى الضمير من الإخوة.

إنّه ليس بالضرورة أن يعود الضمير إلى أقرب مرجع، فقد تحوّل الاعتبارات الدلالية دون ذلك؛ لأنه إن خيف اللبس يجب أن يعود إلى أقرب مذكور، وإن أمن اللبس فإنه يعود إلى أبعد مذكور (٢).

و"الْأَصْلُ تَوَافُقُ الضَّمَائِرِ فِي الْمَرْجِعِ حَذَرًا مِنَ التَّشْتِيتِ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْإِمَامُ السِّيُوطِيُّ (٣)، والتي أشار إليها قبله الإمام الزمخشري، وهي تدور حول عدم تفريق الضمائر؛ فيختل النظم، ومن ثمّ يختل إعجاز القرآن الكريم، قال بعد قوله تعالى: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٤): "والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هُجْنَةٌ، لما يُؤدِّي إليه من تنافر النظم، فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت، وكذلك الملقى إلى الساحل، قلت: ما ضرك لو قلت: المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت؛ حتّى لا تفرّق الضمائر؛ فيتنافر عليك النظم الذي هو أمّ إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التّحدّي" (٥).

(١) سورة يوسف/٨ و٧

(٢) انظر، البيان في روائع القرآن ١/١٥٢ و٣٦/٢

(٣) الإتيان في علوم القرآن ٢/٣٣٨

(٤) سورة طه/٣٩

(٥) الكشف ٣/١٤٤ و١٤٥

في مقابل هذا الاتجاه ظهر اتجاه يُقيد إخلال تفريق الضمان بالإلباس^(١).

أما الاتجاه الثالث فيرى أن الأساس الداعي إلى رعاية اتحاد نسق الضمان هو مُعتمد الحديث، فالضمان تتحد في المرجع؛ لأنه مُعتمد الحديث ومحوره، يقول الإمام أبوحيان: "والظاهر أن الضمير في ﴿فَأَقْذِفْهُ فِي النَّيْمِ﴾ عائد على موسى، وكذلك الضمير إن بعده إذ هو المُحدث عنه لا التَّابُوت، إنما ذكر ﴿التَّابُوتِ﴾ على سبيل الوعاء والفضلة"^(٢).

يجب أن تتوافق الضمان في مرجع واحد إذا كان ذلك نابعا من السياق، وأدى إلى إثراء المعنى، ولم يعمل على الإلتباس فيه، فهو أفضل من التناثر، كما أنه يؤدي إلى حبك النص، أما إذا أدى إلى الإلتباس في المعنى فيجب التخالف.

ويتطابق الضمير مع مرجعه في العدد والنوع، وهذه المطابقة تقتضيها طبيعة العلاقة الإحالية التي تربط بين الضمير ومرجعه، ولكن هذه العلاقة قد تتخلف أحيانا؛ وتختلف المطابقة يؤدي إلى: التأويل، ووجود أكثر من مرجع للضمير، كقوله تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾^(٣) يوجد مرجعان هما ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وجاء الضمير في ﴿يُرْضَوْهُ﴾ مفردا، فهو يعود على ﴿رَسُولُهُ﴾ فقط؛ لأن رضا رسول الله ﷺ رضا الله ﷻ مصداقا لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٤)، أو؛ لأن الله ﷻ ذكر مع الرسول ﷺ تعظيما وتشريفا، والمعنى للرسول ﷺ^(٥).

(١) ممن ذهب إلى التخالف في الضمان: ابن عطية في "المحرر الوجيز" ٤/٤٤، والبقاعي [ت: ٨٨٥هـ] في "نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، ١٩٩٥م/١٢/٢٨٧.

(٢) تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١ ط، ١٩٩٣م/٦/٢٢٦.

(٣) سورة التوبة/٦٢

(٤) سورة النساء/٨٠

(٥) انظر، مرجع الضمير في القرآن الكريم/٣٧ و٣٨

وللضمير أهمية كبرى في الربط، فهو الأصل في الربط بين العناصر الاسمية؛ ولأنه يؤدي إلى "الإيجاز والاختصار"؛ لأنك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكامله؛ فيكون ذلك بالحرف كجزء من الاسم^(١).

وللضمير أهمية كبرى في "الوضوح وأمن اللبس" قال ابن يعيش: "وأما الالباس فلأن الأسماء الظاهرة كثيرة الاشتراك فإذا قلت: "زيدٌ فعلٌ زيدٌ" جاز أن يتوهم في "زيد" الثاني أنه غير الأول"^(٢).

ويؤدي إلى (الخفة) "يكنى بالضمير عن الظاهر، ومن ثم كان الربط بالضمير بديلاً لإعادة الذكر، أيسر في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار"^(٣).

عدد الضمائر في سورة "المنافقون" تسعة وسبعون ضميراً وهي موزعة كالآتي:

١- عدد ضمائر الحضور ستة وعشرون ضميراً، وهي موزعة كالآتي:

أ- عدد ضمائر المتكلم سبعة ضمائر، وهي على النحو الآتي:

ضمير جمع المتكلمين في ﴿نَشْهَدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(٤)، يحيل بإحالة قبلية إلى المنافقين الذين جاءوا إلى رسول الله محمد ﷺ، وهو خطاب غير مباشر؛ فقد وقع في حيز مقول القول.

وضمير جمع المتكلمين في ﴿رَجَعْنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا مِنْهَا الْأَعْزُ وَاللَّهُ الْعِزُّ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥)، فهو يحيل بإحالة قبلية إلى المنافقين الذين جاءوا إلى رسول الله محمد ﷺ.

(١) شرح المفصل، لابن يعيش [ت: ٦٤٣هـ]، راجعه: مشيخة الأزهر الشريف، إدارة الطباعة المنيرية،

د. ط. د. ت. ٨٤/٣

(٢) المرجع السابق ٨٤/٣

(٣) البيان في روائع القرآن ١/١٣٧

(٤) سورة المنافقون/١

(٥) سورة المنافقون/٨

الذين ذكروا في الآية الأولى، وهو خطاب غير مباشر؛ فقد وقع في حيز مقول القول، وقد ساهمت هذه الإحالة في ترابط الآيات؛ فقد ذكر العنصر المُحيل (الضمير) في الآية الثامنة، وذكر المُحال إليه في الآية الأولى.

وضمائر المتكلم المفرد في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١)، هي تحيل بإحالة قبلية إلى ﴿أَحَدِكُمْ﴾، وهو خطاب غير مباشر؛ فقد وقع في حيز مقول القول، وهذه الضمائر تساهم في ترابط الآية وتماسكها.

وضمير المتكلم المعظم في ﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾^(٢)، يحيل إلى الله ﷻ، وهو خطاب مباشر، فالتكلم هو الله ﷻ والمخاطب رسول الله محمد ﷺ.

ب- عدد ضمائر المخاطب واحد وعشرون ضميراً، وهي على النحو الآتي: -

ضمير المخاطب المفرد في ﴿جَاءَكَ﴾ و﴿إِنَّكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣)، فهما يحيلان إلى رسول الله محمد ﷺ فهو المخاطب، وهذا خطاب مباشر من الله ﷻ لرسوله ﷺ وقت نزول القرآن الكريم، والقرينة حضورية بالنسبة للرسول ﷺ فزمن الخطاب مُتَّفَق مع زمن النزول، لكن بالنسبة لنا، فالخطاب محكي أو غير مباشر والقرينة الحضورية تحولت إلى ذكرية.

ومن ذلك ضمائر المخاطب المفرد في ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾ و﴿تُعْجِبُكَ﴾ و﴿تَسْمَعُ﴾ و﴿فَاخْذَرْهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ

(١) سورة المنافقون/١٠

(٢) سورة المنافقون/١٠

(٣) سورة المنافقون/١

كَانَهُمْ خُشْبٌ مِّنْ دَرَّةٍ يَّحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ^(١) .

وضمير المخاطب المفرد في ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢) .

وضمير المخاطب المفرد في ﴿أَسْتَغْفِرْتَ﴾ و﴿لَمْ تَسْتَغْفِرْ﴾ في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣) ، وهذه الضمائر من شأنها العمل على ترابط الآيات الكريمة ترابطاً محكمًا.

أما ضمير المخاطب المفرد في ﴿إِنَّكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(٤) ، فالمخاطب رسول الله محمد ﷺ ، والمتكلم هم المنافقون، وهو خطاب غير مباشر؛ فقد وقع في حيز مقول القول.

وضمير جمع المخاطبين في ﴿تَعَالَوْا﴾ وفي ﴿لَكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾^(٥) فهما يحيلان إلى المنافقين الذين ذكرهم الله في الآية الأولى، وبذلك يتم الترابط بين الآيات (١-٥).

وضمائر جمع المخاطبين في ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ و﴿أَمْوَالُكُمْ﴾ و﴿أَوْلَادُكُمْ﴾ و﴿وَأَنْفُسُكُمْ﴾ و﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾ و﴿أَحَدَكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ

(١) سورة المنافقون/٤

(٢) سورة المنافقون/٥

(٣) سورة المنافقون/٦

(٤) سورة المنافقون/١

(٥) سورة المنافقون/٥

أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢) فهي تحيل إلى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وبهذه الضمائر يتم ترابط الآيتين وتماسكهما.

وضمير جمع المخاطبين في ﴿لَا تُنْفِقُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾، فهو يحيل إلى المنافقين الذين ذكرهم الله ﷻ في الآية الأولى، وبذلك يتم ترابط آيات السورة من أولها إلى آخرها.

٢- عدد ضمائر الغائب ثلاثة وخمسون ضميراً، وهي على النحو الآتي:-

وكانت الضمائر التي تحيل إلى المنافقين أوسعها انتشاراً وأكثرها عدداً، فقد انتشرت من الآية الأولى إلى الآية الثامنة؛ وذلك لأن السورة تتحدث عن المنافقين وعن أحوالهم، وتقضح للناس أمرهم، ومن ذلك ما يأتي:

الضمير في ﴿قَالُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (٤).

والضمائر في ﴿اتَّخِذُوا﴾ و﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ و﴿فَصَدُّوا﴾ و﴿إِنَّهُمْ﴾ و﴿كَانُوا﴾ و﴿يَعْمَلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٥).

والضمائر في ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾ و﴿أَجْسَامُهُمْ﴾ و﴿يَقُولُوا﴾ و﴿لَقَوْلِهِمْ﴾ و﴿كَانَتْهُمْ﴾ و﴿يَحْسِبُونَ﴾ و﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿هُمْ﴾ و﴿فَاخْزَرُهُمْ﴾ و﴿فَاتَّخَذُوا﴾ و﴿يُؤَفَّكُونَ﴾ في قوله

(١) سورة المنافقون/٩

(٢) سورة المنافقون/١٠

(٣) سورة المنافقون/٧

(٤) سورة المنافقون/١

(٥) سورة المنافقون/٢

تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَبَيْنَ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يَحْسُبُونَ كُلَّ صِیْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (١) .

والضمير ﴿هُمْ﴾ هو الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ وفي ﴿لَا يَقْقَهُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْقَهُونَ﴾ (٢) .

وهذه الضمائر المنتشرة في لجوء السورة التي تحيل إلى المنافقين بإحالة داخلية (داخل النص) تعمل على تماسك آيات السورة وترابطها عن طريق البحث عن المحال إليه وتحديد في النص، وتطابق العنصر المحيل (الضمير) مع المحال إليه في العدد والنوع، والقرينة التي تحدد المحال إليه هي قرينة ذكرية؛ لأن المحال إليه ورد ذكره في الآيات.

وضمائر تحيل إلى الله، مثل الضمائر في ﴿يَعْلَمُ﴾ و﴿لِرَسُولِهِ﴾ و﴿يَشْهَدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (٣) .

والضمير في ﴿لَا يَهْدِي﴾ في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٤) .

والضمير في ﴿لِرَسُولِهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَنْ يَرْجِعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥) .

(١) سورة المنافقون/٤

(٢) سورة المنافقون/٧

(٣) سورة المنافقون/١

(٤) سورة المنافقون/٦

(٥) سورة المنافقون/٨

هذه الضمائر تحيل إلى المحال إليه بإحالة داخلية قبلية؛ لأن العنصر المحيل أحال على ما قبله، وقرينة تحديد المحال إليه قرينة ذكرية، وهذه الإحالة تعمل على ترابط الآيات وتماسكها.

أما الضمير في ﴿يَنْفَضُّوا﴾ في قوله تعالى: ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾^(١) ، فيحيل إلى ﴿مَنْ﴾ بإحالة داخلية قبلية تعمل على الترابط والتماسك.

والضمير في ﴿مِنْهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾^(٢) ، فهو يحيل بإحالة داخلية قبلية إلى ﴿الْمَدِينَةِ﴾؛ مما يؤدي إلى تماسك السابق باللاحق.

والضمير في ﴿فَيَقُولَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣) ، يحيل إلى ﴿أَحَدَكُمْ﴾، وهي إحالة قبلية؛ تؤدي إلى تماسك الآية وترابطها.

والضمير في ﴿أَجَلَهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٤) ، يحيل إلى ﴿نَفْسًا﴾، وهي إحالة داخلية قبلية تؤدي إلى ربط السابق باللاحق، وتماسك الآية.

ثانيًا : أسماء الإشارة :

عرف ابن يعيش اسم الإشارة بأنها "الإيماء إلى حاضر بجارحة أو ما يقوم مقام الجارحة؛ فيتعرف بذلك، فتعريف الإشارة أن تخصص للمخاطب شخصًا يعرفه

(١) سورة المنافقون/٧

(٢) سورة المنافقون/٨

(٣) سورة المنافقون/١٠

(٤) سورة المنافقون/١١

بحاسة البصر وسائر المعارف هو أن تختص شخصاً يعرفه المخاطب بقلبه؛ فلذلك قال النحويون: إنَّ الإشارة تتعرف بشيئين بالعين والقلب^(١) .

وقرينة تعريف اسم الإشارة الحضور مع الإشارة المعيّنة، يقول الصبان: "وكان عليه أن يقول: أو حسبيّة كالإشارة الحسية في اسم الإشارة؛ لأنها القرينة التي تَعَيَّنَ بها مدلول اسم الإشارة، لا مجرد الحضور كما زعمه البعض مدخلاً لقرينة اسم الإشارة في قوله: (أو الحضور)"^(٢).

والحضور درجات أدناها الإشارة، يقول الدكتور تمام حسّان: "إنَّ الحضور درجات أعلاها التكلّم ثُمَّ يأتي بعده الخطاب، وأدنى درجاته الإشارة، ويتضح ذلك عند مقارنة الخبر وما يشتمل عليه من ضمير يعود على المبتدأ في الجمل التالية: "أنا فعلتُ"، "أنتَ فعلتَ"، "هذا فعلٌ" إذ يعود ضمير التكلّم إلى المتكلّم في الجملة الأولى، وضمير الخطاب إلى المخاطب في الثانية، وضمير الغيبة إلى الإشارة في الجملة الثالثة، فإذا عاد ضمير الغائب على الإشارة وهي للحضور، فلا بد أن يكون حضور الإشارة أدنى درجة مما سواه"^(٣) .

وقد يخرج اسم الإشارة عن هذا الأصل (الإشارة الحسية) إلى غير الإشارة الحسية؛ لذلك يلزمه البيان، مخافة الإلباس، قال ابن يعيش: "لزمها البيان بالصفة عند الإلباس"^(٤) .

والحقيقة أنَّ البيان يقع بالصفة وبغيرها، فيقع البيان بـ (البدل)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) فـ (النَّبِيُّ) بدل، وهو بيان لاسم الإشارة.

(١) شرح المفصل ١٢٦/٣

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني مالك، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، ط ١، ٢٠٠٢م

٢١٢/١

(٣) البيان في روائع القرآن ١٧/٢ و١٨

(٤) شرح المفصل ١٢٦/٣

(٥) سورة آل عمران/٦

وقد يقع البيان بـ (عطف البيان)، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾^(١) ، فـ ﴿الْقُرْآنُ﴾ عطف بيان، وقد بيّن المقصود بالإشارة.

وقد يقع البيان بـ (الحال) كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِبَيْمِينِكَ يَا مُوسَى﴾^(٢) ، فـ ﴿مَا﴾ مبتدأ، وـ ﴿تَلَكَ﴾ خبره، وـ ﴿بِبَيْمِينِكَ﴾ حال، أي: ما تلك ثابتة ببيمينك.

وإذا خرج اسم الإشارة عن الإشارة الحسية، ولم يكن المشار إليه محسوساً، كان استعماله مجازياً، يقول الصبان: "وكون الإشارة حسية يستلزم كون المشار إليه محسوساً بالبصر حاضراً فاستعماله في غيره مجاز" (٣).

بمعنى أن تكون الإشارة إلى غير معيّن (إشارة مجازية)؛ وذلك في مقام الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرَضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾^(٤) ، فالمشار إليه غير معيّن، قال ابن عاشور: "إذا لم يكن في مقام الكلام شيء يصلح لأن يُشار إليه بالاستفهام كان استعمال (ذا) بعد اسم الاستفهام للإشارة المجازية، بأن يتصور المتكلم في ذهنه شخصاً موهوماً مجهولاً صدرَ منه فعل، فهو يسأل عن تعيينه، وإنما يكون ذلك للاهتمام بالفعل الواقع وتطلب معرفة فاعله، ولكون هذا الاستعمال يلزم ذكر فعل بعد اسم الإشارة" (٥).

على الرغم من دلالة اسم الإشارة على الحضور، وإشارته إلى مذكور سابق، يمكن استبدال ضمير الغائب بها في كل موقع تربط فيه بين عناصر الجملة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٦) ، فإنّ الضمير (هم) يصلح أن يحل محل الإشارة دون تغيير المعنى.

(١) سورة الأنعام/١٩

(٢) سورة طه/١٧

(٣) حاشية الصبان/١/٢٢٧

(٤) سورة البقرة/٢٤٥

(٥) التحرير والتنوير/٢/٢٨١ و٢٨٢

(٦) سورة المائدة/٨٦

وقد قسّمه النحاة بحسب المسافة إلى: قريب، ومتوسط، وبعيد، يقول ابن عقيل: "له ثلاث مراتب: قري، ووسطى، وبعدي، فيشار إلى مَنْ في القري بما ليس فيه كاف ولا لام: كـ(ذا)، و(ذى)، وإلى مَنْ في الوسطى بما فيه الكاف وحدها نحو: (ذاك)، وإلى مَنْ في البعدي بما فيه كاف ولا لام نحو: (ذلك)"^(١).

وقد صرح النحاة بجواز إنابة ما للقريب عن البعيد، وإنابة ما للبعيد عن القريب^(٢)؛ وذلك عند إرادة معنى دلالي، فمن الأول: الدلالة على عظمة المُشير، نحو: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾^(٣)، أو عظمة المشار إليه، نحو: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾^(٤)، ومن الثاني: الدلالة على حكاية الحال، نحو: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾^(٥)... أو التنبيه على أَنَّ المُشار إِلَيْهِ جدير بما يَرِدُ بعده من أجل الأوصاف التي ذكرت قبله، نحو قوله: ﴿أَوَلَيْكَ عَلَى هَذَى مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(٦).

وإذا اتصلت (ها) باسم الإشارة فإنها تثير انتباه المخاطب "وتحمل (ها) التنبيه متفردًا بـ(هذا) من دون الكنائيات الأخرى دليل آخر على أَنَّ بينها وبين انتباه المخاطب ما يدعو إلى إثارة هذا الانتباه"^(٧).

وإذا اتصلت بها كاف التشبيه فإنها تصبح على معنى التشبيه، كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٨).

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة،

ط ٢٠، ١٩٨٠ م. ٢/١٨٤ و ١٨٥

(٢) انظر، شرح التسهيل ٢٤٨/١

(٣) سورة طه/١٧

(٤) سورة الشورى/١٠

(٥) سورة القصص/١٥

(٦) سورة البقرة/٥

(٧) البيان في روائع القرآن ١٨/٢

(٨) سورة الأنعام/١٢٢

وتكون الإشارة على معنى الظرفية"إذا أضيفت إلى كلمة تحمل معنى الظرفية كـ"عند، وقبل، وبعد"، كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾^(١)، أي: في ظرف سابق، و﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فْلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) أي: بعد هذه اللحظة الحاضرة إذ يكون لفظاً (سابق وحاضر) ترجمة لمعنى الإشارة المذكورة في الآية^(٣).

أما (هنا): فهي إشارة وظرف مكان غير متصرف، وقد يكون قبلها (ها) التي للتنبيه؛ فتصير (ها هنا) أو هي والكاف المفتوحة؛ فتصير (ها هناك)، وقد يلحقها الكاف واللام؛ فتصبح (هناك).

و(ثم): فهي اسم إشارة للبعيد وظرف مكان لا يتصرف، ويجوز أن تلحقها التاء المربوطة؛ فتصبح (ثمّة)^(٤).

عدد أسماء الإشارة في سورة (المنافقون) ثلاثة أسماء، وهي على النحو كالآتي:

اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٥)، يحيل بإحالة قبلية إلى مضمون قوله ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

والدليل على ذلك أن الله ﷻ ذكر سبب إقدامهم على الأعمال السيئة وهو استخفافهم بالإيمان ومراجعتهم الكفر مرة بعد أخرى، فرسخ الكفر في نفوسهم فتجرات أنفسهم على الجرائم وضربت بها، حتى صارت قلوبهم كالمطبوع عليها أن لا يخلص إليها الخير^(٦) وهو بذلك يربط ما قبله بما بعده، بالإضافة إلى ما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه؛ للإشعار ببُعد منزلة المنافقين في الشر.

(١) سورة مريم/٢٣

(٢) سورة البقرة/١٧٨

(٣) البيان في روائع القرآن ٢/٢٣

(٤) النحو الوافي، للدكتور عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط ١٩٩٥، ١٢/٣٣٥

(٥) سورة المنافقون/٣

(٦) التحرير والتنوير ٢٨/٢٣٧

واسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١) ، يحيل بإحالة قبلية إلى الله عن ذكر الله بسبب الأموال والأولاد، وقد أشار الله ﷻ باسم الإشارة وهو للبعيد مع قرب المشار إليه؛ لإرادة المبالغة في الخسران.

واسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢) ، يحيل إلى ما قبله وهم الذين آمنوا، وقد ساهم في ترابط أول الآية بآخرها، بالإضافة إلى ما فيه من معنى البعد الذي أفاد أنهم "الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني"^(٣).

ثالثاً: الأسماء الموصولة

يُقَسَّم الاسم الموصول إلى: مختص، ومشترك، ومنها ما يستخدم للعاقل، أو لغير العاقل، و لكليهما.

والأسماء الموصولة من عناصر الإحالة؛ لكونها مبهمة تحتاج إلى ما يفسرها؛ لذلك فهي تنقتر إلى جملة الصلة؛ لتعين المراد بها، قال سيبويه "الذي لا يتم إلا بحشوه"^(٤) .

والقرينة التي تُعين الاسم الموصول هي قرينة العهد الذي في الصلة؛ لأن الأسماء الموصولة مبهمة؛ فهي تحتاج إلى صلة تفسرها، ولابد أن تكون هذه الصلة معلومة لدى المخاطب، قال الرضي: "إن الصلة ينبغي أن تكون معلومة للسامع في اعتقاد المتكلم قبل ذكر الموصول"^(٥) .

(١) سورة المنافقون/٩

(٢) سورة المنافقون/٩

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود العمادي [ت: ٩٨٢هـ]، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ط. د. ت. ١٥٤/٨

(٤) الكتاب ١٠٥/٢

(٥) شرح الرضي على الكافية ٩/٣

وَأَسْمَاءُ الْمَوْصُولَةِ تَقُومُ بِوُضُفَتَيْنِ: التَّعْوِضُ (تَعْوِضُ الْمُحَالِ إِلَيْهِ بِالْإِحَالَةِ عَلَيْهِ)، وَالرِّبْطُ، قَالَ الْأَزْهَرُ الزَّنَادُ: "تَعْوِضٌ وَتَرْبِيطٌ رِبْطًا تَرْكِيبِيًّا" (١).

وَقَدْ يَقْصِدُ تَعْظِيمَ الْمَوْصُولِ فَتَبَهُمُ صَلَاتُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا وَشِيَهِمْ﴾ (٢) إِنَّ فِي هَذَا الْإِبْهَامِ مِنَ التَّخْفِيمِ وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ مَا لَا يَخْفَى (٣).

وَقَدْ يَقْصِدُ بِالْمَوْصُولِ الْإِبْهَامَ بِإِخْفَاءِ مَا يَصِفُهُ، أَوْ يَخْبِرُ عَنْهُ لْغَرَضٍ أَسْلُوبِيٍّ، فَقَدْ يَكُونُ الْغَرَضُ هُوَ التَّقْرِيرُ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَأَوْنَهُ النَّيَّ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ (٤) فَاسْمُ الْمَوْصُولِ ﴿النَّيَّ﴾ دَلٌّ عَلَى زَلِيخَا امْرَأَةِ الْعَزِيزِ، وَجُمْلَةُ الصَّلَةِ ﴿هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ دَلَّتْ عَلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ فِي بَيْتِ زَلِيخَا، وَإِذَا كَانَ فِي بَيْتِهَا، وَتَمَكَّنَ مِنْ نَيْلِ الْمَرَادِ مِنْهَا وَلَمْ يَفْعَلْ؛ كَانَ غَايَةً فِي النَّزَاهَةِ، فَالْغَرَضُ هُوَ تَقْرِيرُ نَزَاهَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَفَافِهِ (٥).

وَقَدْ يَفِيدُ الْمَوْصُولُ مَعْنَى الْمَصْدَرِيَّةَ وَيَتَحَقَّقُ ذَلِكَ بِوَاسِطَةِ (الَّذِي) وَبِوَاسِطَةِ (مَا) الْمَنْقُولَةِ مِنَ الْمَوْصُولِيَّةِ إِلَى الْمَصْدَرِيَّةِ، وَيُسَمَّىهَا النَّحَاةُ: (مَا الْمَصْدَرِيَّةِ)، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَخَّضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ (٦)، أَي: كَخَوْضِهِمْ.

عَدَدُ الْأَسْمَاءِ الْمَوْصُولَةِ فِي سُورَةِ (الْمُنَافِقُونَ) سِتَّةُ أَسْمَاءٍ، وَهِيَ كَالآتِي:—

١— عَدَدُ الْأَسْمَاءِ الْمَوْصُولَةِ لِلْعَاقِلِ ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ، وَهِيَ عَلَى النِّحْوِ الْآتِي:—

اسْمُ الْمَوْصُولِ ﴿الَّذِينَ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ (٧)، يَحِيلُ بِإِحَالَةٍ قَبْلِيَّةٍ إِلَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ ذُكِرَ ضَمِيرُهُمْ فِي بَدَايَةِ الْآيَةِ، وَهَذَا الْمَوْصُولُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِجُمْلَةِ الصَّلَةِ بَعْدَهُ، وَتَكُونُ مَعْلُومَةٌ

(١) نَسِيجُ النَّصِّ/ ١١٨

(٢) سُورَةُ طه/ ٧٨

(٣) الْإِضْاحُ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ، لِلْخَطِيبِ الْقَزْوِينِيِّ [ت: ٧٣٩هـ]، تَحْقِيقُ: د. مُحَمَّدٌ عَبْدُ الْمَنَعَمِ خَفَاجِي، الْمَكْتَبَةُ الْأَزْهَرِيَّةُ لِلثَّرَاثِ، مِصْرَ، ط ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م. ١٥/٢

(٤) سُورَةُ يُوسُفَ/ ٢٣

(٥) انْظُرْ، الْإِضْاحُ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ/ ١٤/٢، وَالْبَيَانُ فِي رَوَائِعِ الْقُرْآنِ/ ٢٨/٢

(٦) سُورَةُ التَّوْبَةِ/ ٦٩

(٧) سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ/ ٧

لدى السامعين في اعتقاد المنافقين، وقد اشتملت جملة الصلة على ضمير في الفعل ﴿يَقُولُونَ﴾ يعود على الموصول؛ فيحدث الترابط بين الموصول وصلته، بالإضافة إلى المعنى الدلالي الذي يفيد الموصول وصلته، فقد أفاد التشهير بالمنافقين وفضح أمرهم، وفيه تعريض بالتوبيخ.

واسم الموصول ﴿مَنْ﴾ في الآية السابقة، يحيل إلى مَنْ كانوا عند رسول الله ﷺ وهم "أهل الصنعة ومن كانوا يلحقون بالمدينة من الأعراب العفاة أو فريق من الأعراب كان يموتهم رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق" ^(١) ، وامتد بالظرف ﴿عِنْدَ﴾ المتعلق بجملة الصلة المحذوفة، وامتد بـ ﴿رَسُولِ اللَّهِ﴾، وامتد بـ ﴿حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ التي اشتملت على ضمير يحيل إلى الموصول، وبذلك يساهم الموصول وصلته في ربط الآية الكريمة وتماسكها، والغرض الذي من أجله استعمل الموصول هو عظمة شأن مَنْ كانوا عند رسول الله ﷺ ؛ لأن المنافقين أرادوا إبعادهم عن رسول الله ﷺ ؛ لتضعف قوة المسلمين.

واسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَاؤُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ^(٢) ، يحيل إلى المؤمنين المخاطبين، واكتمل بصلته التي اشتملت على ضمير يعود على الموصول، وامتدت جملة الصلة بالنهي عن اللهو عن ذكر الله بسبب الأموال والأولاد، ثم الامتداد باسمي الإشارة الضمير، وهذا يدل على الدور الذي يؤديه الموصول وصلته في الربط والتماسك، بالإضافة إلى الغرض الذي من أجله استخدم الموصول وهو إثارة همة المؤمنين؛ لامتنالهم للنهي.

٢- وعدد الأسماء الموصولة لغير العاقل ثلاثة أسماء، وهي على النحو الآتي:-

اسم الموصول ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ^(٣) يحيل بإحالة قبلية إلى النفاق وما يتبعه، وقد امتد

(١) التحرير والتنوير ٢٤٦/٢٨

(٢) سورة المنافقون/٩

(٣) سورة المنافقون/٢

وصلته ﴿يَعْمَلُونَ﴾، وبالفعل ﴿كَانُوا﴾ المزيد بين الموصول وصلته، وهذا يدل على أن الاسم الموصول وصلته لهما دور كبير في تماسك الآية وترابطها، بالإضافة إلى الغرض المسوق من أجله، وهو تفضيع حال المنافقين.

واسم الموصول ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١)، يحيل بإحالة قبلية إلى الأموال التي رزقها الله لهم، وقد اشتملت جملة الصلة ﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾ على ضمير يربط بين الصلة والموصول، وقد امتدت الصلة بالجار والمجرور، وبالجملة الفعلية، ثم بالجملتين المعطوفتين، وبذلك يظهر دور الموصول وصلته وما في حيز الصلة، في ترابط الآية وتماسكها، بالإضافة إلى الغرض الدلالي الذي يفيد وهو تعظيم رزق الله.

واسم الموصول ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢) يحيل بإحالة قبلية إلى الإنفاق في الآية العاشرة، وقد اشتملت صلته على جملة فعلية فعلها مضارع، والرباط هو ضمير المفعول المحذوف في الفعل ﴿تَعْمَلُونَ﴾ وقد أفاد الموصول وصلته الوعد والوعيد؛ لأن "الإنفاق المأمور به منه الواجب والمندوب، وفعلهما يستحق الوعد، وترك أولهما يستحق الوعيد"^(٣).

مما سبق يتبين أن الإحالة بالضمائر هي أكثر الإحالات شيوعاً؛ مما يؤكد أنها الأصل في الربط بين العناصر الاسمية، يليها الأسماء الموصولة، يليها أسماء الإشارة، ويؤكد ذلك ما يأتي:

- في سورة "المنافقون" بلغ عدد الضمائر (تسعة وسبعين) ضميراً، وعدد الأسماء الموصولة (سنة) أسماء، وعدد أسماء الإشارة (ثلاثة) أسماء.

(١) سورة المنافقون/١٠

(٢) سورة المنافقون/١١

(٣) التحرير والتنوير ٢٨/٢٥٦

- وفي سورة "الشعراء": بلغ عدد الضمائر "ستمانية" ضمير، وعدد الأسماء الموصولة (سبعة وثلاثين) اسمًا، وعدد أسماء الإشارة (تسعة عشر) اسمًا.
 - وفي سورة "النور": بلغ عدد الضمائر (أربعمئة وستة وسبعين) ضميرًا، وعدد الأسماء الموصولة (ستة وستين) اسمًا، وعدد أسماء الإشارة (اثنين وعشرين) اسمًا.
 - وفي سورة "الأنبياء": بلغ عدد الضمائر (خمس مئة واثنين وخمسين) ضميرًا، وعدد الأسماء الموصولة (ثمانين وثلاثين) اسمًا، وعدد أسماء الإشارة (ثلاثة وعشرين).
 - وفي سورة "الحج": بلغ عدد الضمائر (أربعمئة وثلاثين) ضميرًا، وعدد الأسماء الموصولة (سبعين) اسمًا، وعدد أسماء الإشارة (تسعة عشر) اسمًا.
 - وفي سورة "الواقعة": بلغ عدد الضمائر (مائة وتسعة وعشرين) ضميرًا، وعدد الأسماء الموصولة (ثمانية) اسمًا، وعدد أسماء الإشارة (خمسة) اسمًا.
- وهذا يؤكد الوظيفة التي تؤديها الضمائر في وصل الكلام ببعضه ببعض، والربط بين أجزائه، ويؤكد أن الربط بالضمائر هو الأصل بين العناصر الاسمية.
- خاتمة البحث.

لقد عني هذا البحث في ثناياه بموضوع (الإحالة وأثرها في تماسك النص)، وقد اتخذ سورة (المنافقون) نموذجًا تطبيقيًا، وهو موضوع مهم؛ لبيان دور الإحالة في تماسك النص، وقد استطاع أن يركز على موضوع الإحالة وعناصرها، وبيان أثرها في التماسك، كما وضّح أهمية الإحالة من خلال إحدى السورة القرآنية، وقد توصل هذا البحث إلى مجموعة من النتائج التي كان أهمها:

- * يُمثل التماسك النصّي حجر الأساس في التحليل النصّي المعاصر.
- * اختار البحث مفهوم الإحالة العهدية؛ ليكون مفهومًا للإحالة.
- * درس البحث عناصر الإحالة (الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة)، وبيّن أثرها في الربط والتماسك، بالإضافة إلى أثرها البلاغي.

- * توصل البحث إلى أن الضمير هو الأصل في الربط؛ لأنه أكثر العناصر الإحالية انتشاراً، يليه الأسماء الموصولة، ثم أسماء الإشارة.
- * يؤكد البحث على دور الإحالة في إيجاد التماسك النصي، فهي من أهم وسائل الربط وأكثرها ظهوراً في النصوص؛ لتنوع أدواتها ولكثرته ورودها.
- * الإحالة قضية مهمة من قضايا نحو النص، وهي في حاجة ضرورية إلى كثير من التطبيقات على القرآن الكريم، والشعر العربي؛ ليظهر لنا دقائقها وأسرارها.
- * تساهم الإحالة في تعليق الكلام بعضه ببعض، والربط بين عناصره.
- * اتضح لنا مدى التشابه بين الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، في أداء وظيفة التماسك.

والله الموفق،،،

المراجع والمصادر

أولاً: الكتب :

- ١- الإتيان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين السيوطي [ت: ٩١١هـ]، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة، ط. ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ٢- الإحالة في القرآن الكريم، دراسة نحوية نصية، د: تامر عبد الحميد محيي الدين أنيس، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط ٢٠٠٨م.
- ٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود العمادي [ت: ٩٨٢هـ]، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ن. د. ت.
- ٤- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني [ت: ٧٣٩هـ]، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ٥- بناء الجملة العربية، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط. ٢٠٠٣م.
- ٦- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني (ج ١)، للدكتور: تمام حسان، مكتبة الأسرة، ط ١، ٢٠٠٢م.

- ٧- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني (ج٢)، للدكتور: تمام حسان، مكتبة الأسرة، ط٢٠٠٣، م١.
- ٨- التحرير والتتوير، للطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، د.ط، ١٩٨٤م.
- ٩- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي [ت: ٧٤٥هـ]، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- ١٠- تفسير البغوي، المسمى (معالم التنزيل)، للبغوي [ت: ٥١٦هـ]، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرين، دار طيبة، الرياض، ط١٤١٧هـ، ١٤٠٤م/١٩٩٧م.
- ١١- حاشية الصبان على شرح الأشموني مالك، للصبان [ت: ١٢٠٦هـ]، تحقيق: محمود ابن الجميل، مكتبة الصفا، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- ١٢- الخلاصة النحوية، د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
- ١٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي [ت: ٧٥٦هـ]، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ط، د.ت.
- ١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للأوسي [ت: ١٢٧٠هـ]، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ط، د.ت.
- ١٥- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي القرشي [ت: ٥٩٧هـ]، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١٩٨٤، م٣.
- ١٦- شرح الأشموني [ت: ٩٠٠هـ] لألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
- ١٧- شرح التسهيل، لابن مالك [ت: ٦٧٢هـ]، تحقيق: د.عبد الرحمن السيد، د.محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، ط١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
- ١٨- شرح الرضي على الكافية، لرضي الدين الإستراباذي [ت: ٦٨٨هـ] تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٦م.
- ١٩- شرح المفصل، لابن يعيش [ت: ٦٤٣هـ]، راجعه: مشيخة الأزهر الشريف، إدارة الطباعة المنيرية، د.ط، د.ت.

- ٢٠- شرح ابن عقيل [ت: ٦٧٢هـ] على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط ١٩٨٠، ٢٠م.
- ٢١- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، للدكتور صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، ط ٢٠٠٠، ١م.
- ٢٢- علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات، تأليف: تون أ. فان دايك، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط ١٠١، ٢٠٠١م.
- ٢٣- في بناء النصّ ودلالته (محاوّر الإحالة الكلامية)، مريم فرنسيس، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، د. ط، ١٩٩٨م.
- ٢٤- قضايا اللغة في اللسانيات الوظيفية، د: أحمد المتوكل، دار الأمان، د. ط، ١٩٩٥م.
- ٢٥- الكتاب، لسيبويه [ت: ١٨٠هـ]، تحقيق: الأستاذ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م.
- ٢٦- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري [ت: ٥٣٨هـ]، تحقيق: يوسف الحمادي، مكتبة مصر، د. ط، ٢٠٠٠م.
- ٢٧- لسان العرب، لابن منظور [ت: ٧١١هـ]، تحقيق: عبدالله على الكبير، وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د. ط، د. ت.
- ٢٨- لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام النصّ، لمحمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢٠٠٦، ٢م.
- ٢٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية [ت: ٥٤٦هـ]، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢٠٠١، ١م.
- ٣٠- مرجع الضمير في القرآن الكريم، مواضعه، وأحكامه، وأثره في المعنى والأسلوب، د: محمد حسنين صبرة، دار الباني للطباعة، القاهرة، د. ط، ١٩٩٢م.
- ٣١- المرتجل، لابن الخشاب [ت: ٥٦٧هـ]، تحقيق: علي حيدر، دمشق، د. ط، ١٩٧٢م.
- ٣٢- معاني القرآن وإعرابه، لأبي اسحق الزجاج [ت: ٣١١هـ]، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط ١٤٠٨، ١هـ/ ١٩٨٨م.

- ٣٣- مغني اللبيب عن كتب الأعريب، لابن هشام [٧٦١هـ]، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، ١٩٩١م.
- ٣٤- المفصل في صناعة الإعراب، للزمخشري، تحقيق: د.خالد إسماعيل حسان، مكتبة الآداب، ط٢٠٠٦م.
- ٣٥- المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني [ت: ٤٧٤هـ]، تحقيق: الدكتور كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، العراق، د.ط، ١٩٨٢م.
- ٣٦- المعجم الكبير، "لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني [ت: ٣٦٠هـ]، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٣، د.ت.
- ٣٧- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس [ت: ٣٩٥هـ]، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ٣٨- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- ٣٩- مقالات في اللغة والأدب، د.تمام حسان، طبعة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٦م.
- ٤٠- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني [ت: ٦٨٤هـ]، تحقيق: محمد الحبيب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ط، ١٩٨٦م.
- ٤١- النحو القرآني قواعده وشواهد، للدكتور جميل أحمد ظفر، مطابع الصفا، مكة المكرمة، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- ٤٢- النحو الوافي، للدكتور عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط١٩٩٥، ١٢م.
- ٤٣- نسيج النص (بحث ما به يكون الملفوظ نصاً)، للأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١٩٩٣، ١م.
- ٤٤- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١٩٩٨، ١م.
- ٤٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للباقعي [ت: ٨٨٥هـ]، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، ١٩٩٥م.

٤٦- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي [ت: ٩١١هـ]، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

ثانياً: الدوريات :

٤٧- الإحالة في نحو النصّ دراسة في الدلالة والوظيفة، د. أحمد عفيفي، بحث نشر في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٤٨- عناصر السبك، بحث، للدكتورة نادية رمضان، نشر في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

* * *